مكتبة المشرق

تاريخ قضاة الاندلس

او كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا

للشيخ ابي الحسن النباهي المالقي الاندلسي

نشره إ. ليفي بروفنسال استاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون

مدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس

طبعة القاهرة ، دار الكاتب المصري ، سنة ١٩٤٨

بقلم حبيب زيات

لم يُطبع الى اليوم من كل ما كُتب قديماً عن القضاة بالاندلس سوى تاريخ قضاة قرطبة لمحمد بن الحارث الخشني المتوفى سنة ٣٧١/٩٨١ طُبع طبعاً غير جميل في مدريد سنة ١٩١٤ ، مع ترجمة له في الاسبانية لا تخلو من وهم وسوء فهم ؛ وسوى كتاب النباهي المذكور آنفاً دعاه في مقدمته كتاب المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا وهو اسم طابق مسماه لما تضمنه من البحث والنظر في خطة القضاء وشروطه «ومن يجوز له التقليد ومن لا يجوز له وفي صفات المفتي وما يُقبل من اقواله وبالجاري من فتاويه على منهاج السداد» وهو على هذا النحو اشبه بكتاب تشريع وتحديد للقضاء منه بكتاب تاريخ عام للقضاة . وتسميتهُ بكتاب تاريخ قضاة الاندلس انما هي من باب التغليب والتوسع لانه لم يقتصر على تدوين اخبار قضاة الاندلس ، بل تجاوزهم احياناً الى الكلام على بعض المتقدمين من قضاة المشرق والمغرب وافريقية ، وربما استدرجه الحديث ايضاً الى ذكر قاض من قضاة مدينة ملّي من ارض الحبشة . ولا يخفى ما في هذه الطفرات والاستطرادات الغريبة من الخروج عن دائرة البحث، والتقصير في معالجة موضوع الكتاب وفصوله . ولو كان النباهي وقف كتابه على جمع انباء القضاة واوصاف معيشتهم واعمالهم في الاندلس كما فعل الكندي مثلاً في اخبار قضاة مصر لكان ابقى لنا ذخيرة من اجل الذخائر

واثرًا من انفس الآثار يمثل لنا الحياة القضائية في ما وراء الجبال والبحار.

وقد نبَّه النباهي في مقدمته الوجيزة على انه قسم كتابه الى اربعة ابواب: الباب الاول في القضاء وما ضارعه (ص ٢ — ٢١) والثاني في سِيَر بعض القضاة الماضين ونفر من ابناء الامة المتقدمين (ص ٢٢ — ١٧٧) وهو اهم ما في الكتاب، ولكنه سكت عن البابين الاخيرين. وهو ما يبعث على الظن ان كتابه انتهى الينا ناقصاً غير كامل. وقد اورد في مكان هذين البابين باباً ثالثاً في كتب القضاة الى القضاة (ص ١٧٧ — ١٩٤) وباباً رابعاً في الشهادة على الخطوط (ص ١٩٤ — ٢٠٨) وليس في شيء منهما اقل حظ او ايسر فائدة للمؤرخ والمتأدب.

والفضل في اخراج هذا الكتاب وابرازه لعالم العلم راجع الى احد علماء العصر المتخصصين بالتاريخ الاندلسي ليفي بروفنسال ، استاذ اللغة والحضارة العربية في السربون ومدير معهد الدراسات الاسلامية بجامعة باريس . وله في هذا التاريخ عدة مؤلفات ممتعة في لغته الفرنسية احسن فيها غاية الاحسان . ولكنه قصر جداً في خدمة كتاب النباهي واقتصر على اختيار اجل الطبعات له في دار الكاتب المصري دون ان يعمل النظر الكافي لتحقيق المتن وتصحيحه وقد عددنا من المآخذ والاغلاط في الكتاب مئات من مواضع التحريف والتخليط في ضبط الحركات وتسديد الالفاظ وقلة الانتباه الى ما في بعض الاشعار المروية من الاختلال الظاهر في الوزن . ولا بأس ان نعدد كل ما مرَّ بنا منها عملاً بحقوق النقد وغيرة على العلم ان تلحقه شبهة او ريبة . وسنبدأ باغلاط الطبع والشكل والضبط وتعقبها باوهام الرواية والقراءة والنسخ .

اغلاط الطبع والشكل والضبط

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧	٣	هو عدل رضوٍ	عدلٌ رضىً
١١	٣	من دُعي الى عمل او امامه في الدين	إمامة في الدين
١٢	١٧	ما أفق الناس	ما أفقي الناس
١٤	١٢	خاف على دمه وجلدُ ظهره	وجلدَ ظهره
١٤	٢٣	فألزمه	ألزمهُ

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٩	٧	واعجبه بيته	سمته
٣٦	١١	لا يشبه حاله حال الجبابرة	لا يُشْبِهُ
٣٩	٥	اردتَ ان اولّيه القضاء	اردتُ
٣٤	١٨	وكتب	وكيع
٤٠	٨و١٣	البطرك	البطرك
٤٣	٩	يكون ذلك دأبه	دأبَه
٤٣	١٨	كان ممن يستغنى بعقله عن مشاورة غيره	يستغني
٤٦	٢١	انفذت ما لزمني انفاذه من الحق خوفُ الحادثة على نفسي ورهبةُ السؤال عنه	انقاذُه خوفَ الحادثة ورهبةَ السؤال عنه
٤٧	٢٠	الى حج بيتَ الله	حج بيتِ الله
٥٦	٨	فحرَى الا تسمع دعواه	فحرىً
٥٨	٦	نَجيكَ اليها	نُجيبُكَ
٥٨	١٥	كلَ التراب	كُلِ التراب
٦١	١٦	والله اعلم ايُ ذلك كان	ايَّ
٧٤	١٤	الواجب على من استقضى في وضع	استُقضِيَ
٧٥	٢	امير المؤمنين الحكَمَ المستنصربالله	الحكَمُ
٧٨	٢١	ما بي ان اقوم بذلّة	مَذَلَّة
٧٨	٢٢	ولكنها بيني وبينك تُجْمَلُ	تُجْمَلُ
٨١	١٣	ويُنفذَ حكمي	ينفُذَ
٨٤	٣و٣	وبذلوا في الله ما بذلوه	وبَذَلوا ما بَذَلوه
٨٧	١	وعُنُف جم	وعُنْف
٨٩	٢	امر بضمّه الى المَطْبَق	الى المُطْبَق (اي السجن الذي أُطبق عليه)
٩٥	٧	فلِمَ لا اكون	فلِمْ لا أكون (حفظًا للوزن)
١٠٣	٣و١٠	التظي	التظي
١٠٥	١٣	ودُفن في مسجد حكمُهُ	حكيمِهِ
١٠٦	١٩	اوذى في ذلك بذهاب كتبه	أُوذِيَ
١٠٦	٢٣	توفي منصرفَهُ	مُنصَرَفَهُ
١٠٧	٦	وَهمٌ من ابن الزبير وغَلَط	وخَلَط او غَلَط
١١٣	١٧	ذكيا فَطِنًا باوع الخط	فَطِنًا بارعَ الخط
١١٦	٩	وصحة قول وضبَطَ الى تقلب في العليا	وضبطِ

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٢٠	٧	وعوّحا عليها مارناً وبفازةً	وعُوجا . . . وبَفازةً
١٢١	١٩	وَرْق الحمائم	وَرْق الحمائم
١٢٢	١٢	ناعيا بنالهِ	مَنَالُهْ
١٢٥	٩	تقدم بَذْله	بَذَلَه
١٢٦	٣	حلوَ الشمائل	حُلْوَ
١٢٨	٦	ولم تُقَمْ له بينة	لم تَقُمْ
١٣١	٩	معذّر ابدت به صدغاه وشيُ الحسن	معذّر . . . وشيَ الحسن
١٣١	١٦	فمن أدمعي	فمن أدمعي(بقطع الهمزة لضرورة الوزن)
١٣٥	١٨	بِها	منها
١٣٧	٩	وسنيّ الاحوال ورفيعُ المقامات	وسنيّ ورفيعِ
١٣٨	١٨	منشرح الصدر	مُنْشَرِح الصدر
١٣٩	١١	المَحَاربي	المُحاربي
١٤٢	٢٣	وإقراءة القرآن	وأقْرَأَ القرآن
١٤٣	٣	على سبيل في ذلك كلّه	كُلِّه
١٤٣	١٢	دار الإشراف	الأشراف
١٤٣	١٨	حققتُ	حققتْ
١٤٤	١	اعدّ النظر	أعيد النظر
١٥٢	١٣	أمسكها	أمسكها
١٥٣	١٦	من غرناطةً	غرناطةِ
١٥٥	٣	الطاعون الاعظم الذي حسبتَ ظهوره	حسبَ او حسبتْ
١٦١	٨	الى ما عُرِف	عُرُف
١٦٤	١٠	الاقربُ	الاقربِ
١٦٦	١٦	الاهلون كلّهم	كلّهم
١٦٦	١٧	مُؤْنات	مؤنات
١٧٣	٥	الى اكرمُ	أكرمَ
١٧٤	١٦	ان تُصحبوا	تُصحبوا
١٧٥	١٥	كرموا	كرّموا
١٧٦	١٠	اذا اجتمع منها في الرجل العقل والورع قدم	قُدِّم
١٧٦	٢٦	أقضيته	أقضيته
١٨٣	٢٥	استأهلَ	استأهَلَ
١٩٣	٢١	ألْحقَ	الحَق
١٩٥	١٢	احتُيج	احتيج

اغلاط الرواية والقراءة

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣	١٦	بالورع يُعفَ	يَعِفّ
١١	٦	قصّ نفسه على تلك المقولة	قَصَر نفسه
١٣	١٦	لست اضم الى هذا	أَضُمّ (؟)
١٤	٢١	في الايتاء للقضاء	الإباء
١٤	٢٣	فاذا أرضيته للقضاء	رَضِيَهُ
١٥	١٧	يختفي الشيطان	يختفي
١٦	٥	يشير علينا بين تولّي او ما قبل	اذا ما قبل
١٧	١٨	عن فوق من سطوته	عن فَرَقٍ
٢٢	٢٠	هلّا اعيدت المرأة على زوجها	هلّا اعَدْتَ
٢٨	١٦	كان من الامر ميثان احدها	احدهما
٣٢	٩	يلبس الصوف الخيش	الخَشِن
٣٣	٢٠	كان سيّئ الرعن فيهم	سيّئ الظن او الرأي
٣٣	٢١	لما اراد الايقاع بهم فلم يقدر على ذلك	لم يقدر
٣٣	٢	لم يزل به بعد مدة حتى جعله	عزله
٣٣	٥	بنادريا	يبادريا
٣٤	١	يقطويه	تغطويه (؟)
٣٤	١٨	اما شدائد اسماعيل في القضاء وحسن مذهبه	سداد
٣٥	٣	يرى استنابتهم	استنابتهم
٣٧	٢٢	وضعت كتب النجوم ليتعمش بها الجاهلون من العامة	ليتعيّش (؟)
٤٠	١٠	طبّقوا على وجوههم	صَلّبوا (كما ورد في النسخة ق)
٤٠	١١	وتربون به	وتربأون به
٤٠	١٢	سدّة لهذا الرأي	سوأة
٤١	٢١	وترمي الفوى بالمفترين المرايا	وترمي النَوى بالمُفتِرين
٤١	٢٢	وما هجروا اوطانهم عن مُلاحظ	ملامة
٤٣	٩	قبره عند المصريين	عند الرَبَض (؟)
٤٣	٢٠	اقسم ان لا يضع مقامه	يبرح
٤٣	٩	قد تماطوا الحق بينهم	تراضوا او تناصفوا
٤٤	١٣	وقد الحق لاجله	وتنبذ
٤٥	٦	شديد التنفي	التقصّي

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٦	٧	دفعه اليه الابتام	رفعه (بالراء)
٤٦	٧	اعلمت الامير بشدة استخفافه وغلطه في نفسه	وغَلَطِهِ
٤٦	٢٢	حرق كلام القاضي	حرَّف
٤٧	٢	ولم يعرضه	لم يعزله
٤٨	٢٠	شاهد مبرَّز	مبرَّر
٤٩	١٠	شهادتي بخطي	بخطي
٤٩	١٢	وجاءت دولة وكيل سعيد الخير	وجاءت نوبة
٤٩	١٣	فتقدم اليه مذلًّا	مُدِلًّا
٤٩	٢٠و٢١	قفل الذي يجب عليه وبدّ بابا	فقال . . . وسدّ بابا
٥١	٤	الشاهد المبرَّز	المبرَّر
٥٢	٥	لا بد من تمن عليك وقال	مُنْ
٥٢	٢٢	وبسط الامان بجماعتهم	لجماعتهم
٥٤	٣	فعمّهم وقتل فيهم	ففضّهم (بالفاء)
٥٨	٥	عالك في نفسه فسألنا به حوائجك	نفسه فسألْنا به
٥٨	١٤	والجيران والحُوَل	والحَوَلِ
٥٨	٢٣	وان بلغ دماؤه	ذَمَاؤه (بالذال المفتوحة)
٥٩	١٠	يتكلم وجبين عن نفسه	ويُبين (بالباء ثانية)
٦١	٢	يتايد سكرًا	يتأيل
٦١	٦	قرأتُ كتابَ الله الف مرة	البيت مكسور على هذه الرواية والصواب « تسعين مرة » كما في مطمح الانفس ص ٤٩
٦١	١٧	خمر العنب النيّ	النَّيْء
٦١	١٩	الاوزعي	الاوزاعي
٦٣	٤	يضرب بشكول نخل	بِمُشْكول
٦٤	١٦	وربما تتخلص منه	وبِمَ تتخلص منه ؟
٦٤	١٦	مال الى احمد	مال اليّ احمد
٦٥	١	لوّاه حتى يصطلح امله	لَوَاه (اي ماطله)
٦٦	٥	الاحتفال الذي شهد ذكره في الناس	شُهِر او اشتهر
٦٧	٩	ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها	فحقنها
٦٩	١٢	فاقضى به الإفراق)	فأقضى به (بالفاء)
٧١	١٩	مماثلة على الصرح	مائلة
٧٢	١٦	اذا دام احمد	رام (بالراء)

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٧٣	٥	يباغيه بالقاء الماء	يباغته (بالناء مباغتة)
٧٤	١٠	لقل بعضكم ان يكون الحق بحجته من بعض	لعلّ ... يكون ألحنَ
٧٦	٢	اراد ان يؤنسه في الشبهات	يوبخه
٧٦	٢٢	عمدت الناس سيرته	حمدت
٧٧	١١	كان في تصرفاته حازماً	تصرفاتهِ
٧٧	١٥	اطلق الناس على غرضي	عِرضي
٧٧	١٦	في مخازني ما يفي بغيبته	يفي (من الوفاء)
٧٨	٧	لم يكن يخاطب الخليفة هشاما ولا المنصور ... بغير التسديد	بغير التسويد (يريد انه كان يقول للامير هشام اصلح الله امير المؤمنين سيدي ويخاطب حاجبه المنصور يا سيدي)
٧٨	١٤	كان انتاب جملة جيء بهم اليه	استاب
٧٨	١٩	ابلغ في شكره على تعمد فوافاه حق تكرمته	على تعمد فوفاه حق تكرمته
٧٨	٣٦	ابتطائهم للسقي	استيطائهم للسقي
٧٩	١	برز جم عشرة مرة	غير مرة
٧٩	١١	يطلسون ويكتونه بمابه	يبكتونه (من التبكيت)
٨٠	١٢	يا هذا وانتَ امير المؤمنين	يا هذا أأنتَ امير المؤمنين ؟
٨١	١٧	نشفت لحيته وقلت كلاما سجعاً	فشمت
٨٣	١٧	احضرتم ذمتكم	اخفرتم
٨٤	٣	فرفضوا عنكم السار	فرحضوا (بالراء والحاء)
٨٤	٢٣	وعزّ عطفه	وعزّ (بالعاء)
٨٥	١	داعياً على الاعوان تقاعه	وناعياً
٨٥	٢	فتأوله القاضي	فتناوله
٨٥	٣	أمنَ المحذّرات انا ؟	أمن المخذّرات (بالخاء والدال)
٨٦	٢٥	وتقيضهم الى المدوة	وتقلتهم
٨٨	٥	وجدرانه	وجدرانه (بالنون)
٨٩	٥	موضع غسل المجازم	المجاذم جمع مجذوم او المحاديج جمع محدج اي الفقراء كما في النسخ الاخرى
٩٣	١١	ايّالة	إيَالة
٩٤	١٣	فلم يجدوه في امورهم	فلم يحمدوه
٩٤	١٨	واورثها عقبة	عقبهُ

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٩٧	١٣	ناشئين	ناشئين
٩٧	١٥	دانوا المرابط	دانوا للمرابطين
٩٧	٢٢	متقاضياً عن هنات الفقهاء	متقاضياً (بالنين)
٩٨	٣و٤	اخذت حظك من الاجمام	اخذت حظّك من الإجمام (اي من الراحة)
٩٩	١٨	والفصل عنه وهاد	وانفصل
١٠٠	٥	شرح كبير حسن فقيد	حسن مُفيد
١٠٣	١٩	ولا ميل جواة	جواه
١٠٤	٣	أيالة	إيالَة
١٠٤	١٨	الجراية المتعادة	المتادة
١٠٥	٥	الدنيا الآن قد صارت مكشوفة واخلاق اهلها مفصوحة	مفضوحة
١٠٥	٨	الحتم	الحتم
١٠٦	١	كان من اهل السرابة في الحكم	السراية في الحكم
١٠٨	١١	فيها قَرُب	فيا
١١٣	٤	ظلمه وبقي عليه	وبغى عليه (بالغين)
١١٣	٨	بياضَ الشيب في سواد المفارق	بياض المشيب (ليستقيم الوزن)
١١٤	٨	وسلقته السنة تمديه	ألسنة قَمْدتِهِ
١١٤	٢٠	فرّ ابن زفون فدرك في الطريق	فأدرك
١١٥	١٨	كان رجلا صالحا مزهدا	متزهدًا
١٢٠	١٨	فجدّل منها كل ابيضَ ناعمٍ	فجدّل (بالدال)
١٢١	٨	سوى غضّ اجفان وغضّ اباهم	وعضّ (بالعين المهملة)
١٢٢	١٠	وجبتَ على الفردوس	وحِبْتَ (بالحاء المهملة)
١٢٤	٧	ونيلًا وفضلًا	وفضلًا
١٢٦	٢٠	كصخرة تتبع امواهها	تنبع (بالنون)
١٢٧	٥	مقريًا	مقرِنًا
١٢٧	٦	ودساس الفزاري	ودسائس
١٣١	٤	يا عاذلي دعِ الملامة او سَلا	يا عاذليَّ دعا الملامة (ليصح الوزن)
١٣١	٦	عهدَ حلّ	عهد خِلٍّ
١٣١	١٥	ولواضح طيّ الظلوع	طيَّ الضلوع
١٣١	٢١	كذاك حنظل	كذائق
١٣٣	٩	قد احدث منه للسنّ	قد اخذت
١٣٥	٥	وانا الفقيد الى	الفقير

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٣٧	١	والحفوف على الجهاد	والحفوف الى
١٤٠	١٠	وقد تقدم التنبيه على ذلك	التنبيه
١٤٠	٣٤	واعلى حرسته باسمه	واعلن
١٤١	١٧	واحذ عن الرواية ابي عبداله	واخذ الرواية عن ابي عبدالله
١٤٣	٩	ولا ينام الا عن غلبته	عن غَلَبَة
١٤٣	٢	وفرّق بجمعات ارباب البدع وشدّد اهل الاهواء	وشرّد (بالراء والدال)
١٤٣	٣	واطراح الهواء	الهوى
١٤٣	٢٣	وثارة عدوه	وثأره عدوه
١٤٦	٩	للناشر	للتاشز (كما ورد في صفحة ١٧٣ ووصفها بالناشز الفارك)
١٤٦	٣٤و٢٥	يشحذ البصائر ويدمن الابطال	يشحذ (بالدال) ويدمّر (بالراء)
١٤٧	١و٢	وانشأ عليه بالركوب	واشار
١٤٨	١٣	فاعنته الدربة واخذته الخطة	فأُعانتهُ
١٥٣	٢١	دون استراب	استرابة
١٥٤	٢٠	نفحات النسوك	المسوك (بالميم)
١٥٧	٣	فانتشع بذلك الفلّ	فانتفع
١٦١	٧	واما شدائده في الفضاء	واما سداده
١٦٢	٨	الحضرمي	الحضرمي
١٦٣	١٥	هزّ المستمع طرّه	طربهُ
١٦٤	٩	واثار الكنى	وآثر
١٦٤	١٣	ودام في ابتداء طلبه التشبيه	وادام التشبّه
١٦٤	٢١	من اقتصر على التعيش	العيش او التعيش
١٦٥	٥	على الإقلال	الإقلال (بالقاف)
١٦٥	٨	اذا اعصبته	عصبتهُ
١٦٥	٢٣	من لقيته	لفيتهُ
١٦٨	١٩	وانفرضت الايام	وانقرضت (بالقاف)
١٧٠	١٤	صلب الدهر اشطره	حلب (بالحاء)
١٧١	٥	التي التزم اعداءها	عُداها
١٧١	١٥	تلقاء براحيته	براحتيه
١٧١	١٦و١٧	يفتن عن ادب يعتبر ونتف طرف تبعثر	يفتنّ . . . ونُتَف طُرَف تتبتر
١٧٢	١١	كالبدر ادركه السوار	السرار

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٧٤	١٩	اقداس سانية حشة	حُشْنَهِ (اي بستانه)
١٧٤	٣٤	او عجب	وأعجبُ
١٧٥	٢	وزميل الاينق الرَّسَم	الاينُقِ الرُّسُمِ
١٧٥	١٨	بنا وطني منها	نبا وطني عنها
١٧٦	٤	ردّ كلامين على نابل	ردّك لأمَيْنِ على نابلِ
١٧٦	٥	نظمتهم سلكي وخلوجة	نظمنهم (وهو صدر العجز السابق لامرئ القيس)
١٧٦	١٤	التقاضي عن النظر للمساوي	التغاضي (بالغين المعجمة)
١٧٧	٣	القاضي الانوى	الاتقى ؟
١٧٨	١٢	الذي جرى اولاً به بالعمل	جرى به العمل
١٨٤	٢٣	شدود الغريم	شذوذ
١٩٤	١٥	مطلبه ومعزاه	ومغزاه
٢٠٦	٥	الا الفضاة	الى

وبقيت هنالك مواضع غلب عليها اللبس والتحريف ولم يتبين لنا جلياً وجه صحتها ، فاهملناها لقلة خطرها وعدم إضرارها بالمعنى . وقد تدبرنا ملياً كل ما ورد من الاخبار والاوصاف لننبّه على طرائفها وفرائدها فلم نقف على ما يجدر ان يُحتفظ به الا قليلاً . وهذا اهم ما راق لنا من مختارات كتاب النباهي :

الى الاخذ بالقضية التي تضمنتها ابيات الفتى المتأدب بقول زُفر : ان حد الخمر لا يقوم بالاقرار مرة واحدة حتى يقر الشارب على نفسه بالشرب مرتين او بقول الشافعي والكافي انه لا يُحد الا من الشهادة على شربها او قيئها لا من الرائحة او تخيل السكر او ظن القاضي ان الفتى لم يبلغ سن التكليف او قيل له عنه انه كان مُكرهاً . . . »

ولا يفي على احد وَهن هذه الاعذار وبعدها عن الحق والواقع ولدينا في كتاب النباهي نفسه شاهد من روايته ان بعض القضاة وان اشتهروا بالصرامة في تنفيذ الحقوق واقامة الحدود كانوا يختارون اللين احياناً والتأول رفقاً واشفاقاً وهذا ما حكاه هو بعد قليل في كلامه على القاضي احمد بن بقيّ ابن مخلد وولايته القضاء سنة ٣١٤ قال :

« كان شأنه في الحكومة ان ينفذ من الامور الظاهر البيّن الذي لا ارتياب فيه ويتأنى . . . حدّث اصبغ بن عيسى قال : « كنت يوماً مقبلاً مع القاضي احمد بن بقي حتى مرّ لنا رجل سكران يمشي بين يديه مخبولاً فجعل احمد يمسك من عنان دابته ويترفق في سيره ويرجو ان يعدل السكران عن طريقه او يحبس فيه فينجو بنفسه فلم يكن عنده شيء من ذلك الا ان توقف مستقبلاً فلم يكن للقاضي بدّ من الدنوّ منه والنظر اليه قال اصبغ : وكنت اعرف لياذه من مثل هذا وكراهيته للانتشاب فيه ورقة قلبه من ان يفرع احداً بسوط فقلت في نفسي : ليت شعري كيف نصنع في هذا يا ابن بقي ولم تتخلص منه ؟ فلما دنونا من السكران ولصقنا به سأل اليّ احمد فقال : مسكين هذا الرجل اراه مصاباً في عقله فقلت نعم ايها القاضي ببلية عظيمة فجعل يستعيذ بالله من محنته ويسأله ان يأجره على المصاب في عقله ومضينا (ص ٦٤)

ونختم هذه المختارات بذكر نكتة لا توأم لها تُعدّ طُرفة الطُرَف لولا ما خالطها من بعض المجون والإحماض :

القاضي منذر بن سعيد البلّوطي في البركة

« كان هذا القاضي على متانته وشدة جزالته حسن الخُلق خفيف الوطأة سهل الجانب كثير الدُعابة مطلق البشر ربما استراب بباطنه من لا يعرفه اذا شاهد استرساله فاذا رام احد ان يصيب من دينه ثار ثورة الليث ومن ذلك ما حكاه عنه ابو عمر بن لبيب انه حضر عند الخليفة الحكَم المستنصر بالله يوماً في خلوة له وهو في البستان على بركة في زمان صيف شديد الحر والوهج وذلك مُنصَرَفُ القاضي من صلاة الجمعة فشكا الى الخليفة من

قوة الحر جهدًا فامره بخلع ثيابه والتخفيف من حسه ففعل فلم يُطفِ ذلك ما به فقال له الحكم : « من الصواب ان تنغمس في هذا الصهريج انعاشة تبرد جسمك وتعدله فلم فليس ما هنا من تحتشمه » واذا كان معها جعفر الصقلي اثير الخلافة لا رابع لهم فكأنه استحيا من ذلك وانقبض عنه وقارًا فامر الحكم حاجبه جعفر بسبقه الى النزول في الصهريج ليسهل الامر فيه على القاضي فبادر جعفر الى ذلك وانتزر والقى بنفسه في الماء وكان يحسن السباحة فلم يسع القاضي عند ذلك الا انفاذ امر الخليفة فقام وانتزر وتجرد والقى بنفسه خلف جعفر ولاذ بالقعود في درج الصهريج متبردًا فلم ينشط في السباحة وجعفر يحول فيه عجاله مُصَعِّدًا ومصوّبا فدسّه الحكم على القاضي فهو يدعوه الى السباحة في العوم ويحبّزه في اخلاده الى القعود ويباغته بالقاء الماء عليه والرش له والآخر لا يتبعث ولا يفارق مكانه الى ان كلّمه الحكم وقال له : « ما لك ايها القاضي لا تساعد الحاجب في فعله وتقوم معه فمن اجلك تبذّل فيما تبذّل فيه » فقال له : « يا سيدي — الحاجب سلّمه الله — مُطلَق لا هَوْجَل(١ معه وانا الهوجل الذي معي يقلني ويثنني من الإعماق في الصهريج » يريد بقوله أُثَيْبِيه وان جعفرًا محبوب فاستفرغ الحكم ضحكًا من نادرته ولطف تعريضه فخجل الحاجب من قوله وسبّه سبّ الأشراف وخرجا من الماء فامر لها الخليفة رحمه الله بكسوة تشاكل كلًا منهما ووصلهما بصلة سنية (ص٧٢-٧٣)

١) من معاني الهوجل في اللغة : الأجير اي المَرْسَى يقال ارسى السفينة بالهوجل وهو مجاز (تاج العروس ٨ : ١٦٤) ومن هذا المجاز تدرك رقة كناية القاضي وشدة ما تدلّ عليه من الفطنة والذكاء .